جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المادة : نظرية الأدب

المرحلة : دكتوراه أدب

عنوان المحاضرة

المنهج الاجتماعي

أ.د. نرجس خلف أسعد

المنهج الاجتماعي

للنقد صلة وثيقة بالعلوم الانسانية التي تدرس الانسان بوصفه انساناً كاملاً كالفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس إلى آخر ذلك . وهذه العلوم علوم تجريبية تدرس الانسان دراسة علمية من جوانبه المختلفة ، وقد ارتبط النقد منذ أقدم عصوره (اليونان) بالفلسفة ، وازداد هذا الارتباط وتوثق في العصر الحديث لارتباطه بعلم الجمال الذي هو فرع من فروع الفلسفة . ولارتباط النقد بالعلوم الانسانية تقدم النقد بتقدم تلك العلوم وافادته منها ومحاكاته لمناهجه . وقد توثقت العلاقة بين النقد وعلم الاجتماع منذ ظهور هذا العلم . فضلاً عن ارتباط الأدب بالواقع ، فقد اتخذت بعض الأنواع الأدبية (الرواية مثلاً) الواقع منطلقاً ومرجعاً لها . وقاعدة لفهم الحقيقة الأدبية .

لقد تداخل المذهب الواقعي في الأدب مع علم الاجتماع ، مما افرز هذا التداخل في المذهب النقدي الاجتماعي وكان يفهم في بداياته واقعية اجتماعية على صعيد المصطلح النقدي :" إن الاتجاه الاجتماعي في النقد هو الأب الشرعي للنظرية الواقعية في الأدب "

إن أول من عد الأدب جزءاً من المؤسسة الاجتماعية والسياسية للدولة في العصر الحديث (جان باتيست فيكو) 1668 – 1744 في كتابه (العالم الجديد) مركزاً على دور الشعر في الحضارات القديمة ، والعلاقة بين الملاحم والمجتمعات العشائرية ، ورابطاً الامثال والحكم بالمجتمعات الفلاحية الصغيرة ، في حين تمثلت المسرحية في المجتمعات المدنية ، وتوافق ظهور أدب (البيكاريسك) – أدب الشطار – مع تفتت العلاقات الاجتماعية في نهاية العصور الوسطى في حين تزامنت الرواية مع ظهور البرجوازية الرأسمالية .

ورأت (مدام دي ستال) 1766 – 1817 أن الأدب صورة للمجتمع الذي يوجد فيه ((إلى الشرائع والقوانين يكاد يرجع كل التخالف أو التشابه الفكري ، وقد يرجع إلى البيئة شيء من هذا الاختلاف ، لكن التربية العامة للطبقات الأولى في المجتمع هي دائمة وليدة النظم السياسية القائمة ، والحكومة مركز مصالح الناس والافكار والعادات تتبع تيار المصالح)). ومضت مدام

دي ستال في دراستها للأدب الألماني على أساس ربطه بالمجتمع والنظام الديني وطابعه والبيئة وما توحي به ، في كتابها (في الأدب من حيث علاقته بالنظم الاجتماعية)عام 1800 م .

وقد طبقت مدام دي ستال الأساليب التي اعدها (مونتيسكيو) في كتابه (روح القوانين) فتكلمت عن (روح الأدب) في وقت ظهر فيه تعبير الروح الوطنية وروح العصر في منتداها الأدبي ، وظهرت نظرية (تين) : الجنس والوسط (البيئة) واللحظة الزمنية . محاولاً وضع الخطوط الأولى لعلم اجتماع أدبي وافساحه الطريق أمام النقد الاجتماعي . وتأثر النقد الاجتماعي بفلسفة (هيغل) 1770 – 1830 الذي " اعتقد أن العلم بلغ في تطوره حد الكمال مادياً ، في منطقة التناقض ، وأن العالم في حالة صيرورة وتغير وتطور دائم ، فالتناقض هو المبدأ الدافع لكل تطور ، والتغيرات الكمية تؤدي إلى تغيرات كيفية .... وقال باتحاد الشكل والمضمون وربط الأنواع الأدبية والمجتمعات التي نشأت فيها " .

وقد تأثر (كارل ماركس) 1818 –1883 م و(انجلز) 1820 – 1895 م بآراء هيكل ، وخاصة محور (المعرفة) الذي اطلقا عليه اسم (المادية الجدلية) المنطلقة من" المادة الطبيعية والكينونة وقائع مادية موجودة خارج الوعي ومستقلة عنه " وأن المادة متحركة وتتوسع المادة في فهم الكون ، وتكون في أشكال خمسة ، ميكانيكية وكيمياوية وبيولوجية وفيزيائية واجتماعية . والمادة في حركة دائبة لا تبقى على حال واحدة ، والتحول في الكمية يؤدي إلى التحول في الكيفية ، فإذا زادت درجة الحرارة عن مئة درجة مئوية تحول الماء إلى بخار وإذا تدنت إلى الصفر جمد الماء ، وهذا التناقض في باطن المادة هو باعث حركتها ونمائها ، وما دامت القوتان المتناقضتان متكافئتين تظل المادة متوازنة فإذا طغت أحداهما على الأخرى تحولت المادة إلى كيفية جديدة تحمل في أحشائها تناقضاً جديداً ، وهكذا فالتوازن في نظر الماركسية قلق ، متناقض لا محالة ، والمادة عندهم سابقة للوعي الانساني ، والانسان قادر على معرفة ما يحيط به عن طريق حواسه . ويقوم النقد الماركسي على فلسفة اجتماعية تدرس تحولات المجتمعات بدلاً من وصف حالتها السكونية ، وترتبط بمفهوم الدياليكتيك الهيغلي ، ويعتمد هذا المذهب على أسس منها :

1– المادية التاريخية : التي تربط وسائل الانتاج بالمجتمع وتعبر عن علاقة بين الانسان والطبيعة ، ومن هذه العلاقة تتولد بنية اجتماعية وسياسية معينة ، فالمطحنة اليدوية

اعطت مجتمعاً فيه أسياد وعبيد ، والآلة اعطت المجتمع رؤوس الأموال التي خلقت رأسماليين وعمالاً .

2- صراع الطبقات محرك التاريخ : لأن القوى المنتجة لا تكف عن التعبير والمجتمعات بسبب ذلك في تحول مستمر ، فالطبقة المالكة تحافظ على ممتلكاتها ، والفقيرة تحاول انتزاعها منها ، فإذا تعادلت القوى ينشأ مجتمع جديد ، وهكذا غلبت البرجوازية الاقطاع ، وغلبت الطبقة العاملة (البروليتاريا) الطبقة البرجوازية .

3- إن الظواهر الفكرية (الايديولوجية) تكون البنية الفوقية وهي حال المذاهب السياسية والاخلاقية والدينية والجمالية ، فهي تعبر عن الطبقة التي تنتمي اليها وقد أشار (انجلز) إلى ذلك بوضوح حين قال :إن أفكار الطبقة المسيطرة هي أيضاً الأفكار السائدة في كل عصر ، فالطبقة التي هي قوة المجتمع المادية هي أيضاً القوة الفكرية المسيطرة والطبقة التي تملك التصرف بوسائل الانتاج المادي تملك التصرف في الوقت نفسه بوسائل الانتاج الفكري ، فلا يتبنى الأفراد الأفكار التي يوحي بها وصفهم في المجتمع ، وإنما هم يتبنون في الأغلب وبسبب من البساطة أو العدوى أو الغرور افكاراً لا تطابق أوضاعهم بل تناقضها .

ويحدد (بليخانوف) العناصر الوسيطة بين الواقع الاقتصادي والفن بما يأتي :

1- الصلات بين القوى المنتجة .

2- النظام الاجتماعي والسياسي الذي ينجم عنها .

3- نفسية الانسان الذي يعيش في مثل هذا المجتمع .

4- المذاهب الفكرية (الايديولوجيات) التي تتجاذبه .

ومن هنا تظهر الاهمية الكبيرة لعلم النفس الاجتماعي في تطوير المجتمع .

إن لكل عصر موضوعاته العامة التي تتفق مع البنية الاجتماعية ، مثل موضوعات معارضة الواقع أو التجرد ، الخاصة بالطبقات المنهارة ، وموضوعات تبرير الحاضر الخاصة بالطبقات المسيطرة ، وموضوعات تجديد تعبر عن آمال الطبقات الصاعدة ، ويتعلق الشكل أيضاً بالظروف التاريخية المحددة ، فالشكل مندمج بالمضمون وغير منفصل عنه ، ولا يوجد شكل مستقل ، ولكل فن قوانينه الخاصة به ، وأن الأصالة في الفن هي في أن يعكس الأثر مظهراً ما لمرحلة تاريخية

يعاصرها حقيقة ، إن أثراً مجدياً وهاماً ، يعمق جذوره فيوعي عصر ، ويعبر عنه بوساطة عالم من الشخصيات مترابط وغني .

قال لينين : الفن أداة لخدمة الثورة ، ألن تكون رسالة الأدب تقوية الأخلاق والوحدة السياسية للشعب ؟ أن يكون الإنسان كاتباً يمثل طبيعة الشعب ، هذا يعني أن يرى خلائقه بعيني عامل ، لا أن يبرهن على صحة النظرية الاشتراكية .

وتحول مفهوم النقد الستاليني ، وتطلب من الناقد أن يكون واقعياً اشتراكياً ، وهذا يعني الا يحلل الناقد الواقع تحليلاً أميناً موضوعياً وإنما يجب عليه أن يستعمل فنه لنشر الاشتراكية ، أي روح الحزب ومساره ، وأن يكون الناقد فعالاً في التشكيل الايديولوجي لجماهير العمال حسب الروح الاشتراكية ، وقال ستالين : أن الكتاب هم مهندسو النفس الانسانية ، وهكذا يصبح الأدب تعليمياً بشكل صريح ، ويرسم لنا عالماً مثالياً لأنه لا يصور الحياة كما هي ، وإنما كما ينبغي أن تكون طبقاً للمذهب الاشتراكي .